ويشير البعضُ إلى عدم رسوخ الثقافة الديموقراطية في المجتمع. ويتحدث آخرون عن آليات الاستعلاء، ممثَّلةً في «نظرية النموّ الذاتي» ومقولة «لا شيوعية خارج الحزب» وتلطيخ سمعة الآخر، فضلاً عن ممارسة الإيهام بالقوة وعدم الحاجة إلى الاتحاد مع آخرين.

غير أنّ التفسير الأشدَّ لفتًا للنظر هو القائل بأنّ الوحدات الاندماجية غير المبدئية كانت تَستهدف أساسًا القضاءَ على الآخر والسطوَ على كوادره، أيْ أنّها كانت تتم بروح انقسامية وتنتهي إلى المزيد من الانقسامات! انظرْ مثلاً «سامي عجيب» وهو يقول: «... لقد كانت وحدةً فوقيةً سهّلت الانقسامَ... كما أنّها كشفتْ كلَّ كوادر المنظمات جميعًا (السريّ منها والعلنيّ) وأصبحتْ كلُّ إمكانيات وقوات وكوادر الحزب معروفةً للمباحث العامة» (ج ٥، ص ٧٧).

كلمة أخيرة

يُمْكن القول إنّ انقسامات الحركة الشيوعية قد فاقت من الناحية الكمية أيَّ انقسامات عرفها تيارٌ وطنيٌّ آخر. كما صاحَبَ هذه الانقساماتِ مناخٌ صاخِبٌ من الاتهامات، أنهَكَ الحركةَ وعَوَّق أدوارَها المفترضة وحطمَ حتى بنيَتها المنقسمة. ويلاحَظ أنّ هذا النزوع الانقسامي كان يزداد في فترات جَزْر الحركة الجماهيرية. وقد كانت الانقسامات تنظيميةً أو حلقيةً في جوهرها، وإن اكتست بصبغةٍ سياسيةٍ زاعقة.

ولا نعتقد بالطبع أنّ العوامل المذكورة الدافعة إلى الانقسام متساويةُ الأهمية، وهي أيضًا قد تغذّى بعضُها من بعض، ولا يُمْكن الفصلُ بينها بحال من الأحوال. فالأحزاب المركزية الأوامرية (رغم الادعاء بالمركزية الديموقراطية)، والمدفوعةُ إلى العمل السري، وذاتُ النشأة الخاصة المذكورة، وذاتُ الكهنوت النظري، والملاحَقَةُ من البوليس السياسي، والمعزولةُ عن جماهيرَ تدّعي هي التعبيرَ عنها، والمحاكيةَ والمقدِّسَةَ للنموذج السوفييتي، والمرتبكةَ أمام التقلبات الدولية والإقليمية والوطنية على مختلف الصعد... هذه الأحزاب مصيرُها الحتميُّ هو التخبُّطُ في أزمة وجودية عنيفة، لا يعدو الانقسامُ أن يكون أحدَ ملامحها فحسب.

وفي هذا الصدد تتحمّل القياداتُ الحزبيةُ المسؤوليةَ الكبرى عن شيوع التشرذم، في حين يُفترض أن تكون الأكثر وعيًا وانتماءً واستعدادًا للتضحية والإيثار. فارجعْ للقيادة، تَرِبَتْ يداك!

القاهرة

ملفّات الأعداد القادمة من الآداب:

- **الشباب العربي والمشاركة السياسية (II): سورية (ملفّ من إعداد: ياسين الحاج صالح).**
- **هشام شرابي بعد عام على رحيله (ملفّ من إعداد الآداب ومركز الدراسات العربية المعاصرة في جامعة جورجتاون).**
- **أدب الأطفال والأحداث في الوطن العربي.**

ادعم الآداب، اشتراكًا وتبرُّعًا، كي يبقى صوتُك القوميُّ اليساريُّ الحديثُ عاليًا!